وجودُ اللهِ تعالى بينَ الفطرةِ والإلحاد

إعداد

د. فتح الرحمن يوسف عمر أبو عاقلة

أستاذ مشارك قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة المجمعة

وكلية التربية حنتوب بجامعة الجزيرة، السودان

f.omer@mu.edu.sa

وجودُ اللهِ تعالى بينَ الفطرةِ والإلحاد

د. فتح الرحمن يوسف عمر أبو عاقلة

أستاذ مشارك قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية بالمجمعة، جامعة المجمعة

وكلية التربية حنتوب بجامعة الجزيرة، السودان

البريد الإلكتروني: f.omer@mu.edu.sa

المستخلص: يتناول البحث التطابق التام بين الفطرة السليمة وبين اعتقاد وجود الله تعالىٰ، من خلال بيان حقيقتها، وصحة صلتها بالاعتقاد، وكونها مصدراً – غير مستقل – للاستدلال، وتوافقها مع اعتقاد وجود الله، ومن جانبٍ آخر، مع بيان التنافر التام بين الفطرة واعتقاد إنكار وجود الله (الإلحاد)، وأنّه تلفيقٌ ووهم، ولا يصلُح عقيدة، أو مصدراً لها، ويهدفُ البحثُ إلىٰ بيان قوة الصلة والاتساق بين العقيدة والفطرة السليمة، فلا تضاد أو تنافر أو تناحر بين الجِبلّة الرّبانِيّة والمنهج الرّباني، فالإلحاد ليس إلا مكابرةً أو عناداً أو داءً نفسيًا أو سعيًا للإفساد في الأرض عمداً، والمنهج المتبّع هو المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي، وخَلُصَ البحث إلىٰ أن الفطرة السليمة تُؤمن بوجود الله تعالىٰ في سلاسةٍ وتناغمٍ تام، وأن الإلحاد دخيلٌ علىٰ الفطرة الإلهية السليمة، ولا يصلح منهجًا للحياة، ويُوصِي الباحث بضرورة الحفاظ علىٰ الفطرة سليمة من كل مُؤثر، والتعويل عليها لصلاح الحياة وسلامة المعتقد.

الكلمات المفتاحية: الفطرة، الإلحاد، العقيدة، التوحيد، الوجود.

❋ ❋ ❋

The Existence of Allah between Natural Disposition and Atheism

Dr. Fath Al-Rahman Yusef Omar Abu aqla

Associate Professor, Department of Islamic Studies, Majmaah College of Education, Majmaah University
And the College of Education, Hantoub, University of Gezira, Sudan
e-mail: f.omer@mu.edu.sa

Abstract: The research deals with the perfect match between common sense and the belief of the existence of Allah Almighty, through the statement of its truth, and the validity of its relationship with belief. And the possibility of common sense to become a source to receive and inferred, then it coincides with the belief of God's existence., on the other hand, the statement of complete disharmony between the natural disposition and the belief of denial of the Creator or denial of his existence (atheism), and that atheism is a fabrication and only illusion. Also, atheism is not fit to be a belief, or source of it. The research aims to show the strength of the link between faith and common sense. The natural disposition is Allah blessing, and that the belief of the existence of Allah Almighty approach, is not incompatibility or in rivalry with the Allah's blessing or his approach. Common divine instinct is unlike atheism, it is nothing but arrogance, stubbornness, mental illness or deliberately seeking to corrupt the earth. The approach is inductive, inferred and analytical. The research concludes that the common sense believes in the existence of God Almighty, in a smooth and perfect harmony, and atheism is an intrinsic to the divine common sense. It does not fit a method of life. The researcher recommended that the need to keep the common sense intact from any influences, and relying on it for the goodness of life and the integrity of belief.

Key words: Natural disposition, atheism, belief, monotheism, existence.

❊ ❊ ❊

المقدمة

إنّ الحمدَ لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﷺ. أمّا بعد:

يُسمىٰ العصر الحديث بـ«عصر القلق»، القلق الذي هو نتاج أصيل لإنكار الدين، وقد سعىٰ سدنة المادية الملحدة إمعانـًا في إضلال البشرية إلىٰ إِخراج الإلحاد في مظهر العلمية المنهجية، لما اتسم به هذا العصر من الاعتداد بالعلم وحده، فالمادية الإلحادية تسعىٰ بكل قوتها إلىٰ محو فطرة الإنسان وتشويه صورة الدين، وتلك قضية لا يكفي وصفها بالخطيرة، لا سيما وقد أصبحت الدعوة له منتشرة تدخل علىٰ البيوت والعقول بلا استئذان، وقد امتلأ الفضاء بمكتبات ومواقع إلكترونية عديدة، تقدم خدمة إضلال الخلق مسلمين وغيرهم من المؤمنين بوجود الله تعالىٰ.

علىٰ الرغم من كثرة أدلة إثبات وجود الله تعالىٰ النقلية والعقلية، ورغم رسوخ هذه العقيدة في النفس الإنسانية، والمسلمة تحديداً لكنها تحتاج تحصيناً وتدعيماً وتوعية بمثل هذه البحوث، في ظل التدفق المعرفي الهائل الذي لا يتوقف لحظةً والذي غلبت عليه الشهوانية والحيوانية والمادية، والتي هي مقدمات الخروج عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

إن الإقرار بوجود الله تعالىٰ هو المسألة الجوهرية الأولىٰ في حياة الإنسان، لما يترتب عليها من عواقب الخير والسعادة والأمن، ومن عواقب الشر والدمار والهلاك

في الـدنيا والآخـرة، وعلـىٰ الـرغم مـن النـشاط الإلحـادي المتـسارع وزيـادة أعـداد الملحدين وغلبة المادية في النشاط الإنساني، مع ضغوط العولمة وإغراءات الحياة المادية، إلا أن حججهـم داحضة، وضعيفة لا ترقىٰ للثبات والديمومة، وإن الفطرة الإلهيـة قويـة راسـخة، تلـك الفطـرة التـي تعتـبر الـسد المنيـع في وجـه كـل الـشبهات والأفكار الهدامة الوافدة في هذا العصر، وفي مقدمتها الفكر المـادي الإلحـادي، الـذي جعل من التقدم المادي الـذي وصـل إليـه الإنـسان إلهـًا مـن دون الله، فعبـد مـا صـنعه بالأمس، وهو بذلك يشبه إلىٰ حد كبير ما كان عليـه النـاس في زمـن الجاهليـة الأولـىٰ، زمن الخرافات والأوهـام حيـث يـصنع الرجـل صـنمـًا مـن حجـر أو خـشب ثـم يـدعو الناس إليه.

❋ مشكلة الدراسة:

ظهر الإلحاد كتيار جـارف في زماننـا، بعـد طغيـان الحيـاة الماديـة واقـتران التقـدم العلمي والرفاه المادي بالإلحاد، وتـسارع إيقـاع الحيـاة، زيـادة علـىٰ ظهـور المـذاهب الاقتصادية الإلحادية، والهزيمة النفسية التي يعيشها الشباب المـسلم وفقـدان القـدوة، وطغيان المغريات والشهوات والملذات عـبر الفـضاء الإلكـتروني، عـلاوة علـىٰ البُعـد عن مبادئ الإسلام ومنابعه الصافية، عند كثيرٍ من شبابنا، ممـا أدىٰ إلـىٰ ظهـور أجـسام سياسية وفكرية واجتماعية، ونوادٍ وملاهٍ تنادي بالإلحاد وتميل إلـىٰ قيـام الحيـاة علـىٰ المبدأ الإلحادي.

والأدهىٰ والأمر أنهم من جلدتنا يتكلمون بلسانـنا ويلبـسون كمـا نلـبس ولكـنهم شياطين في صورة بشر، يقدمون الدعوة والإرشاد لمـن يقـصدون إلحـاده، وقـد فعلـت فعلها في بعض أجيالنا، ولا نستطيع إنكار تأثيرهم، يبذلون في مسعاهم الغالي والنفيس



لأجل تخريب الفطرة الإلهية، وروىٰ مسلم بسنده عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﵁ عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن الله ﷻ قال: (إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)(١).

الأمر الذي دفع المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية والعشرين المنعقدة من يوم ٢٤ إلىٰ ٢٨/ ١/ ١٤٣٤هـ الموافق ٨-١٢/ ١٢/ ٢٠١٢م، إلىٰ التنبيه والحذر لما تنامي من بوادر الإلحاد والتشكيك في دين الله تعالىٰ، ومن ذلك ما وقع من تطاول علىٰ الله تعالىٰ، وتشكيك في وجوده ﷻ، ودعا المجمع الفقهي إلىٰ لزوم عبادته والخضوع لأمره ونهيه، وتحكيم شريعته، والرضا به سبحانه ربّاً وبالإسلام ديناً(٢).

ومن ذلك أيضاً سوء الأدب في المخاطبة والحديث عن جلال الله تعالىٰ، وعن مقام نبوة خاتم الأنبياء، نبينا محمد ﷺ. لذ فقد وجبت المسارعة للوقوف في وجه هذه الظاهرة المشينة، وضرورة تنبيه المسلمين إلىٰ فداحة أمرها، وإلا فسدت الأمة وانسلخت من كل الضوابط الشرعية باسم التقدم والعلم والحضارة.

انتشار أوعية المعرفة عبر ما يعرف بالانفجار المعرفي، والتي حملت الكتب والرسائل الفلسفية وانتشار القنوات والإنترنت ودور النشر والمقاهي الثقافية، لأجل نشر الإلحاد بما يُبث فيها من شهوات وشبهات تأخذ كل واحدة منها بنصيبها من

(١) صحيح مسلم: برقم (٢٨٦٥).

(٢) نقلاً عن المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي «بيانٌ حول تنامي بوادر الإلحاد في بعض المجتمعات الإسلامية» https://ar.themwl.org/node/40



شبابنا، مع قلة وجود حملة تحصين مضادة لأثارها السلبية، حتىٰ تعرض الشباب وخاصة في بدايات تكوينهم الفكري وقبل نضجهم، للفكر الإلحادي من خلال قراءتهم الكتب الفلسفية واتصالهم أحيانـًا بمفكرين ملاحدة وإعجابهم بأدبهم وأطروحاتهم.

فتغلبت الشهوات علىٰ بعض الشباب ورأوا أن الدين كأنه يمنعهم منها ويشكل حاجزاً بينهم وبين رغبتهم في الاستمتاع بالحياة.

وأخطر من كل ذلك أن الفكر الإلحادي سيقود في نهاية المطاف إلىٰ هدم نظام الحياة، ونظام الأسرة والمجتمع، فلا زواج ولا أبناء ولا عائلة، وستنتشر الجريمة ويعم الفساد في أبشع صوره، فلا وازع ولا رادع ولا ضمير ولا مراقبة لله تعالىٰ في السر والعلن.

*** حدود البحث:**

يتناول البحث الفطرة السليمة وقبولها لاعتقاد وجود الله تعالىٰ وعدم قبولها للإلحاد، وحقيقة الفطرة والإلحاد، وعلاقتهما بالاعتقاد ومدىٰ صلاحيتهما كمصدر للعقيدة، ثم موقفهما من اعتقاد وجود الله تعالىٰ.

*** أهمية البحث:**

- توفر الدراسة مزيداً من المعرفة عن علاقة الفطرة بالإيمان بوجود الله تعالىٰ من جهة التناسق والاتساق، وعلاقة الإلحاد باعتقاد وجود الله تعالىٰ من جهة نفور الفطرة وتباعدها عن قبول الإلحاد، وهذا من شأنه أن يوفر مزيداً من التحصين الفكري للمسلم وتمسكه بعقيدته.

- يمكن أن ترفد الدراسة الجهات ذات الصلة بالدفاع عن عقيدة التوحيد بمادة



تُعينها وتساهم في تحقيق أهدافها.

- تساهم الدراسة في باب نقد الإلحاد والملحدين من خلال مناقشة المسائل المتعلقة بدور الفطرة السليمة في رد الإلحاد وعدم تناسقه وانسجامه مع الطبيعة الإنسانية.

*** الدراسات السابقة:**

بحث: الفطرة: مفهومها وإمكانية الاستدلال بها علىٰ وجود الله ووحدانيته ﷻ، خليل عبد الحميد العبادي، الناشر :الجامعة الأردنية: عمادة البحث العلمي دراسات: علوم الشريعة والقانون، المجلّد ٤٣، ملحق١، ٢٠١٦م. تناولت الدراسة أقوال العلماء في بيان مفهوم الفطرة وإمكانية الاستدلال بها علىٰ إثبات وجود الله ووحدانيته ﷻ. مبينًا بداية معنىٰ الفطرة لغة واصطلاحًا، ثم إمكانية الاستدلال علىٰ وجود الله عن طريق الفطرة، وأنهي البحث في إمكانية الاستدلال علىٰ وحدانيته تعالىٰ عن طريق الفطرة، وأجرىٰ مقارنةً بين قولين الأول: يقول بجواز الاستدلال بها علىٰ وجود الله تعالىٰ، والثاني: الذي يقول بعدم الجواز، لكنه يؤكد علىٰ قبول الفطرة لذلك وأنها متهيئة لقبول ذلك. ولكن كانت دراسة مجملة خلصت إلىٰ إثبات وجود الله وتوحيده عن طريق الفطرة، دون التطرق لموضوع الإلحاد ونفور الفطرة السليمة منه اعتناقه.

*** منهج البحث:**

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي بجمع الآيات والأحاديث وشهادات الملحدين ومن كَتب عنهم وصولاً إلىٰ تقوية الفكرة ذات الصلة بموضوع البحث، والمنهج الاستنباطي بإعمال الذهن في المصادر والمراجع واقتباس ما يؤيد البحث ومن ثم استخلاص النتائج المترتبة علىٰ هذا الاقتباس، والمنهج التحليلي من

خلال النظر في الاقتباسات وتفسيرها وتحليلها لتدعيم المبحث المعين بالتعليق المناسب.

*** إجراءات البحث:**

جمع الشواهد من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم والمفكرين في بيان حقيقة الفطرة السليمة وصحة قبولها لاعتقاد وجود الله تعالىٰ، وبيان التنافر بين الإلحاد كمبدأ عقدي وعدم قبول الفطرة السليمة له، وأنه لا يصلح لذلك لما اتصف به فساد ووهم واستكبار.

قراءة كتب ومقالات أهل الإلحاد أو قراءة من كتب عن إلحادهم لاستخراج مواقفهم وآرائهم لدعم موضوع البحث.

تقسيم البحث إلىٰ مباحث، ومطالب وتقسيم المادة العلمية عليها.

سيعتمد الباحث علىٰ الطرق المعروفة في البحث العلمي من تخريج للآيات والأحاديث وتوثيق النصوص المنقولة والتعريف بالمصطلحات والأعلام غير المشهورة ونحو ذلك.

يكون الرد الأساسي علىٰ دعاوَىٰ الإلحاد التي ترمي إلىٰ إنكار الخالق، التي نوردها من أقوالهم، أو المنقولة عنهم، عبر رؤية وموقف الفطرة السليمة لهذه الأفكار الإلحادية. ويمكن تدعيم ذلك ببعض الأدلة العقلية بحسبان أن العقل الإنساني لا يعمل بمعزل عن الفطرة السليمة والعاطفة الأصيلة.

*** خطة البحث:**

اشتمل البحث علىٰ مقدمة، ومبحثين، وأربعة مطالب بكل مبحث، وخاتمة وفهرس للمراجع والمصادر علىٰ التفصيل الآتي:

- **المقدمة، وتشتمل على:** موضوع البحث ثم مشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث.
- **المبحث الأول: الفطرة السوية** (حقيقتها، وعلاقتها بالاعتقاد، كونها مصدراً للعقيدة، وموقفها من مسألة وجود الله)، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: حقيقة الفطرة. (تصور عقدي).
  - المطلب الثاني: الفطرة والاعتقاد.
  - المطلب الثالث: الفطرة مصدر للعقيدة.
  - المطلب الرابع: الفطرة وموقفها من مسألة وجود الله تعالىٰ.
- **المبحث الثاني: الإلحاد** (حقيقته، وعلاقته بالاعتقاد، وكونه مصدراً للاعتقاد، والإلحاد ومسألة وجود الله تعالىٰ)، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: حقيقة الإلحاد.
  - المطلب الثاني: الإلحاد والاعتقاد.
  - المطلب الثالث: الإلحاد مصدر للاعتقاد.
  - المطلب الرابع:الإلحاد ومسألة وجود الله تعالىٰ.
- **الخاتمة:** وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.
- **فهرس المصادر والمراجع.**





المبحث الأول

الفطرة السويّة

(حقيقتها ، علاقتها بالاعتقاد ، كونها مصدراً للعقيدة ، وموقفها من مسألة وجود الله)

وفيه أربعة مطالب:

*** المطلب الأول: حقيقة الفطرة. (تصور عقدي).**

بين الفطرة السليمة وعقيدة التوحيد توافق تام، وأصل ذلك أن الفطرة السليمة جِبلةٌ ربانية وخليقة إلهية، والتوحيد عقيدة ربانية ومنهج رباني إلهي لتسير الحياة عليه في استقامة وأفضل كمال وفلاح في الدنيا وفي الآخرة، بل إن التوحيد هو أعظم مظاهر الفطرة السليمة وتجلياتها، فلا تعارض أو تضاد بين خليقة وصناعة الله تعالىٰ وبين منهجه سبحانه وتعالى.

فإن كان للفطرة السليمة التي تسير علىٰ الاعتدال توافقٌ وتَقَبُّلٌ تامٌ مع عقيدة التوحيد، فإن لها في التصور العقدي خصائص جلية وأصيلة عديدة منها:

الميل والشوق والانسياق إلىٰ جميع المسائل العقدية في عقيدة التوحيد، وعلىٰ رأسها الميل والانقياد والتسليم بوجود الله تعالىٰ وتوحيده والأنس التام لذلك، ومنها الطمأنينة إلىٰ حتمية التوحيد والاضطراب من الشرك والإلحاد والانحرافات العقدية والسلوكية، أيضاً ومما توافقت عليه الفطرة السليمة واستجابت إليه عقيدة التوحيد، عقيدة البعث والجزاء وطلب الخلود، وذلك في جنة عرضها السماوات والأرض، ومن الخصائص طلب الفطرة معرفة الغيب وتلهفها لذلك واستجابة العقيدة لها، ببيانه أو بعضه مما فيه صلاح الفطرة وما يروي ظمأها للمعرفة، وأول الغيب الله تعالىٰ



وأسماؤه الحسنىٰ وصفاته العليا، والملائكة والرسل ورسالاتهم، والأمم السابقة ومصائرهم، واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وغير ذلك، ثم إيكال الأمر لله تعالىٰ فيما جهلته من الغيب، ومنها أنها استجابة عقيدة التوحيد لحاجة الفطرة في إشباع الحاجات الروحية والمادية في توازن تام، وغير ذلك كثير.

والفطرة السليمة أبعد ما تكون عن قبول فكرة عدمية الخالق، وإلا فقد اجتمع الضدان فيما خلق الله تعالىٰ، فتلك صورة بينة علىٰ فساد الفطرة ليس إلا، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت:٧٢٨هـ): «إن الإقرار والاعتراف بالخالق أمر فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتىٰ يحتاج إلىٰ نظر يحصل له به المعرفة»[1].

ويُبيّن معنىٰ الفِطْرةِ أنها: ما فَطَرَ اللهُ عليه الخلقَ من المعرفة به والإيمان بوجوده سبحانه، وقد جاء في لسان العرب[2] عن معنىٰ الفطرة: أَن الله فَطَرَ الخلق علىٰ الإيمان به والفَطْرُ في اللغة: الابتداء والاختراع، والمعنىٰ أَن الإنسان يُولَدُ بداية علىٰ نوع من الجِبِلَّةِ والطَّبْعِ المُتَهَيِّء لقبول الدِّين، فلو تُرِك عليها لاستمر علىٰ لزومها ولم يفارقها إلىٰ غيرها، وإنما يَعْدل عنه من يَعْدل لآفة من آفات البشر والتقليد، كأَولاد اليهود والنصارىٰ في اتباعهم لآبائهم والميل إلىٰ أَديانهم عن مقتضىٰ الفِطْرَةِ السليمة. وقيل معناه كلُّ مولودٍ يُولد علىٰ معرفة الله تعالىٰ والإِقرار به فلا تَجِد أَحداً إلا وهو يُقِرّ بأَن

(١) مجموع الفتاوىٰ (ت:٧٢٨هـ): شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١٦/ ٣٢٨)، الطبعة الأولىٰ، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.

(٢) لسان العرب (ت:٧١١هـ)، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، مادة (فطر).



له صانعـًا وإن سَمَّاه بغير اسمه ولو عَبَدَ معه غيره.

وبالمجمل فإن التصور العقدي للفطرة السليمة أنها هي: الجِبِلةُ القويّـةُ الراسـخةُ في النفس المدركة لوجود الله تعالىٰ وتوحيده دون الحاجة لتعلمه من الآخرين. في تطابقٍ تامٍ وانسجام مع عقيدة توحيد الله تعالىٰ، فهي لا تتعلق بما يكتسبه الإنسان من ميولٍ ورغباتٍ وأهواءٍ، أو ما يتعلمه من أعمالٍ وسلوكٍ، بل هي معرفةٌ مرتبطةٌ ومتأصلةٌ في تكوينها وخلقها ابتداءً.

وقد سُئِل شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:٧٢٨ه) عن قوله ﷺ: (كل مولود يولد علىٰ الفطرة) ما معناها: أراد فطرة الخلق أم أراد فطرة الإسلام؟ قال: «الصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:١٧٢]، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول بالعقائد الصحيحة»[(١)].

***

(١) مجموعة الفتاوىٰ (ت:٧٢٨هـ): ابن تيمية (٤/ ٢٤٥)، الطبعة الأولىٰ، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.



*** المطلب الثاني: الفطرة والاعتقاد.**

إن الاعتقاد بوجود الله تعالىٰ هو الحقيقة الفطرية الأولىٰ التي تجعل للوجود غايةً وهدفًا، وللوجود الإنساني مصيراً ومعنىً، ويجعل الفطرة سليمة، كاملة مستوفية الأوصاف والمميزات، وبقدر سلامة الفطرة من الانحراف يكون قبولها للتوحيد، وعندها يكون التوافق تامًا بين مسائل عقيدة التوحيد والفطرة السليمة، مما ينعكس علىٰ أمن النفس وسكينتها، وراحتها وسلامتها من الأمراض والانحرافات، فتحيا الفطرة في توازن وتناغم وانسجام مع عقيدة التوحيد.وبقدر فسادها يكون رفضها لعقيدة وجود الله تعالىٰ وتوحيده.

فإن كَمُلت الفطرة بميزاتها الرّبانِيّة كان قبولها وسعيها وانسجامها لعقيدة وجود الله تعالىٰ وتوحيده علىٰ أكمل وجه، وإن أصابها النقص أو الانحراف عن خصائصها الإلهية، يكون خروجها عن أصالتها ويكون رفضها وعنادها وعدم تقبلها لاعتقاد وجود الله تعالىٰ وتوحيده وكل مسائل التوحيد، فالله الخالق للفطرة السليمة خبير بها، وإنّ النفس - الصالحة غير المسيئة - «مجبولة بفطرتها علىٰ رفض العدم بعد الموت، وتواقة للخلود في حياة خالية من المعاناة والشر والألم، والمتأمل لمنظومة الأديان يجد أنها تُطمئن الإنسان وترسم له الطريق، أن من خَلَقه علىٰ هذه الهيئة ما كان يدعه ليكابد هذه المخاوف»[1].

وإن الفطرة الخربة، لا تقف عند مخاوفها فقط، بل هي تشقىٰ ويشقىٰ صاحبها، في الدنيا والآخرة، وبالمقابل فعند فساد الفطرة تفسد المعتقدات، وذلك لعدم قبولها

---

(١) الإلحاد مشكلة نفسية علم نفس الإلحاد، د. عمرو شريف، راجعه وقدم له: د. أحمد عكاشة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، (ص٥٦).

واستيعابها مسائل التوحيد، فتقبل كل اعتقاد مهما كان بعيدا عن الحق والصواب، لأنها تنجر إلىٰ الشهوات والهوىٰ وتميل نحو الفساد والإفساد بوعي أو بدون وعي، وعليه فقد لزم أن يكون بين الفطرة السليمة والاعتقاد الحق توافق بل وتطابق تام يحقق في نهاية المطاف غاية خلق الإنسان في عبادة الله تعالىٰ في سكون تام واستقرار وتلقائية حقيقية، بل وإِقبال وراحة وسكينة، بخلاف الفطرة المنحرفة التي خربت بالشرك والإلحاد والفساد والمعاصي، فلا توافق ولا انسجام، بل صراع وقلق واضطراب يوصل إلىٰ الهلاك والفوضىٰ، وبعد عن عبادة الله تعالىٰ والاستسلام له سبحانه، وكراهية ذلك والنفور والفرار منه أحيانًا.

قال ابن القيم (ت٧٥١) رحمه الله: «فالخلق مفطورون علىٰ معرفة الله تعالىٰ وتوحيده، فلو خلوا وهذه الفطرة لنشأوا علىٰ معرفته وعبادته وحده، وهذه الفطرة أمر خلقي خلقوا عليه ولا تبديل لخلقه، فقد مضىٰ الناس علىٰ هذه الفطرة قرونًا عديدةً، ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة، بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة، مما يوجب خروجهما عن الصحة إلىٰ الانحراف»(١).

إن اعتقاد وجود الله تعالىٰ في النفس، وهو أمر معنوي، أشد رسوخًا وثباتًا حتىٰ من المعقولات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): «أصل العلم الإلهي فطريٌّ ضروريٌّ، وأنه أشد رسوخًا في النفس من مبدأ العلم الرياضي، كقولنا الواحد

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل المؤلف: ابن قيم الجوزية (ت:١٣٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، (٢٤/ ٩٧).

نصف الاثنين، ومبدأ العلم الطبيعي، كقولنا إن الجسم لا يكون في مكانين، لأن هذه المعارف أسماء قد تُعرض عنها أكثر الفطر، أما العلم الإلهي فما يُتصور أن تعرض عنه فطرة»(١).

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٥).

*** المطلب الثالث: الفطرة مصدراً للعقيدة.**

الفطرة السليمة صافية وأصيلة وربانية وراسخة في النفس، لا شك في ذلك، منسجمة مع اعتقاد وجود الله تعالىٰ وتوحيده سبحانه، بل إن الفطرة السليمة هي الإسلام وهي التوحيد ذاته، فطبيعتها والإسلام واحدة، لذا فإن لها القدرة علىٰ تمييز صواب الاعتقاد من فساده، بسلاسة وجبلة؛ لأنها منسجمة مع الحق، تألفه ويألفها، ولكن دون أن يكون لها حتمية قطعية علىٰ هذه المعرفة، ودون استقلالية منفردة عن الوحي، وبهذه الخاصية تصبح الفطرة وقاية من الانحرافات والتي علىٰ رأسها الإلحاد. بل وتنكره وتنفر منه.

والأصل أن الله تعالىٰ خلق العباد بهذه الميزة العظيمة، وهي الحنيفية السمحاء، ولكن كما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ، أنها ورغم سلامتها فقد تتعرض لما يجتالها من شياطين الإنس والجن، فقال ﷻ: (خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)[1].

كما أنّ الفطرة السليمة ترقىٰ عند صفائها ونقائها، بعد قبولها للحق والإيمان والتوحيد، لأنه متوافق تماماً مع طبيعتها وما قامت عليه من الخصائص الإلهية، إذ كيف أيد الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله جعل الحق علىٰ لسان عمر وقلبه. رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير الجهم ابن أبي الجهم وهو ثقة. وأخرج الشيخان عن عمر

(١) صحيح مسلم: برقم (٢٨٦٥).



قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت :يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ فنزلت: وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ. وقلت: يا رسول الله يدخل علىٰ نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيراً منكن فنزلت كذلك)[1].

وقد أودع الله في الفطرة الإنسانية ملكات وقوانين فطرية كلية، كاستحالة الجمع بين المتناقضين، وتصديق حتمية واجد للموجودات، وإن هذا الكون الموجود بهذه البراعة والإبداع لا يتصور الا بوجود خالق ابدعه بقدرته الفائقة، متصفٌ بجميع صفات الكمال منزهٌ عن جميع صفات النقص ﷻ .وإن هذه الملكات أو القوانين راسخة في النفس لا تتزحزح. وهي تهتدي في تلقائيةٍ لاعتقاد وجود الله تعالىٰ وتوحيده، وطاعته وموافقة أمره ونهيه، حتىٰ إذا شابتها عوامل التغيير تبدلت وأنكرت كل ذلك، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَىٰ الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ) ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ)[2].

***

(١) قطف الثمر في موافقات عمر، تأليف العلامة جلال الدين السيوطي (ص٧).

(٢) البخاري برقم (١٣٨٥)، ومسلم برقم (٢٦٥٨).



*** المطلب الرابع: الفطرة ومسألة وجود الله تعالىٰ.**

الأصل الذي فطر الله الخلق عليه هو إسلام الأمر إليه لأجل صلاح الحياة واستقرارها، والفلاح في الآخرة، وتوحيد الله تعالىٰ، أما غير ذلك من الإلحاد والشرك فهو عارض وقع فيه الناس بضلالهم وبعدهم عن مصادر التلقي والاستدلال الصحيحة، أو بالميل إلىٰ الشهوات والهوىٰ، أو بالتعويل علىٰ العقل والطبيعة بديلاً للخالق، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

لذا فإن من صفات الفطرة الأصيلة أن تهتدي إلىٰ وجود الله تعالىٰ، وكذلك تهتدي إلىٰ توحيده سبحانه في سلاسة وتلقائية وحتمية، فإن كانت النفوس مضطرة إلىٰ معرفة من تعلقت بهم أرزاقها ومصالحها ومنافعها وحاجاتها، فكيف بمن تعلقت به سبحانه مصائرها وافتقرت إليه النفوس، وصلاح أمرها في الدنيا والآخرة، فإنها إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، وإلىٰ توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته أشد اضطراراً وإلحاحًا. ولا شك أن الدين يتغلغل في جوانب حياتنا، وأن نظرة الإنسان للوجود والحياة تختلف تمامًا إذا كان هناك إله خلق الخلق لغاية ومصير، عن نظرته إن لم يكن هناك إله ولا غاية ولا هدف ومصير مجهول.

إن الأمر المسَلَّم به وهو الواقع، أنّه ما من نفس إلا وتلجأ إلىٰ الله تعالىٰ في ساعة الخطر، وقد كرر القرآن هذا المعنىٰ كثيراً، فقال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم:٣٣]، ومهما بلغ بهذه النفوس من التكبر والعناد، فلن تجد غير الله وإن أنكرت

وجوده فهو إنكار ظاهري ليس إلا، يقول تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤].

ويلجأ الملاحدة (فيورباخ، ماركس، نيتشة)[1] عناداً واستكباراً إلىٰ ما يُعرف بنظرية الإسقاط لتفسير حاجة الإنسان الفطرية لاعتقاد وجود الله تعالىٰ، وهو تفسير نفسي، ينكر الفطرة ويدعي أن الإنسان في طفولته البشرية - الذي فُطِر علىٰ الإيمان بوجود الله تعالىٰ- لجأ إلىٰ إسقاط أُمنياته وأحلامه في الخلود والجزاء علىٰ صبره في الدنيا، لجأ إلىٰ اختراع الإله بوعيٍ أو بدون وعي، ليشبع حاجاته ورغباته، فهو لتلبية الحاجة اخترع الإله - عمداً لا يقولون بالحاجة الفطرية الراسخة في النفس - ولكن: «بالرغم من ذلك فإن إسقاط أحلام الإنسان علىٰ آخر لا يثبت ولا ينفي وجود الآخر، وإذا كان الملاحدة يلجأون للقول بالإسقاط للتنكر للوجود الإلهي، فإن المتدينين يستخدمونه لتحقيق النقاء والتسامي الروحي»[2] فهو ليس إسقاط أحلام وأُمنيات

(١) فيورباخ، لودفينغ أندرياس Feuerbach, Ludwig Andreas
فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، ولد في ٢٨ تموز ١٨٠٤م في لاندشوت (بافاريا)، ومات في ١٣ أيلول ١٨٧٢م في نورمبرغ، درس اللاهوت في هايدلبرغ والفلسفة في برلين حيث أخذ عن هيغل، له دراسة في نقد الفلسفة الهيغلية (١٨٤٤) وعدداً من المباحث في النقد الديني. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط٣ تموز (يوليو) ٢٠٠٦م، (ص٤٩٢)، انظر: ماركس (ص٦١٨)، و نيتشة (ص٦٧٧).

(٢) الإلحاد مشكلة نفسية مرجع سابق (ص٧٦).



وإنما هو حق ويقين أصيل في النفس الإنسانية السويّة.

فالفطرة السليمة تقر وتميل إلىٰ الإيمان بوجود الله تعالىٰ وتوحيده، دون تصنع ودون تعلم أو تعليم أو اكتساب، وتنفر من الإلحاد والشرك لأنهما حادثان والتوحيد أصل ثابت في النفس، فالفطرة هي التوحيد.

* * *

المبحث الثاني

الإلحاد

(حقيقته، وعلاقته بالاعتقاد، وكونه مصدراً للاعتقاد، والإلحاد ومسألة وجود الله تعالى)

وفيه أربعة مطالب:

*** المطلب الأول: حقيقة الإلحاد.**

والإلحاد مذهب فلسفي يقوم علىٰ فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق، فيدعي الملحدون بأن الكون وُجِدَ بلا خالق. وأن المادة أزلية أبدية، وهي - في زعمهم - الخالق والمخلوق في نفس الوقت، وبجملة واحدة فإن فكرة الإلحاد تقوم علىٰ معاندة الفطرة في هذا الإنكار، فالإلحاد لا يعرف فرقـًا بين الخير والشر، ولا بين الحسن والقبيح، والأخلاق واللاأخلاق، فلا غاية ولا هدف وإنما إباحية فكرية وسلوكية بلا قيد ولا ضابط.

ولعل من دوافع اعتناق الإلحاد الدوافع النفسية التي لا صلة لها بقوة الدليل أو موضوعية المنهج، وأن هناك شواهد عملية من الواقع تدعمه وتقويه، ولقد تبين أن أكثر الملاحدة كانت لديهم مشكلة شخصية مع الدين، قبل إلحادهم، ثم بُنيت مواقفهم علىٰ هذا النفور النفسي المتراكم، وكراهية متنامية حالت بينهم وبين تحكيم المنهجية العلمية التي يدعونها والمعايير الموضوعية في الأدلة بأنواعها؛ العقلية منها، والتجريبية، والحسية (الباطنية) أو الفطرية.

يقول صاحب كتاب الإلحاد مشكلة نفسية: «أن الملاحدة علىٰ اختلاف طبقاتهم يعانون من مشكلات نفسية إما بسبب أُسرهم وإما بسبب مجتمعاتهم، وعدد من

الدراسات النفسية الحديثة تثبت عدم سوية كبار الملاحدة من الناحية النفسية، وتعرضهم لمشكلات في الطفولة، ومن أهم تلك الدراسات تلك التي قام بها العالم النفسي بول فيتز صاحب كتاب علم نفس الإلحاد، وهو ملحد سابق؛ ما يعني معرفته لبواطن الأمور من الجانب الشعوري للملحد وكذلك من الجانب الظاهري الخاضع للدراسة العلمية. وقد اعتمد بول فيتز في دراسته علىٰ تحليل سير مشاهير الملحدين التي كتبوها بأنفسهم أو كتبت عنهم وخرج بنظريته المسماة بـ: التقصير الأبوي»[1].

وحقيقة الإلحاد فوضىٰ واضطراب في التصور، حيث لا وجود لإله خالق متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص، حيث لا ثوابت، وأن فكرة وجود إله فكرة أُسطورية احتاجها الإنسان قديمًا، لجهله بأسباب الظواهر الطبيعية وتفسيرها، وأن فكرة وجود إله كامل أزلي مسألة معقدة وغير مقبولة لعدم وجود الأدلة والبراهين المادية، ومرد هذا التخبط فساد فطرتهم وخروجها عن طبيعتها الأولىٰ لجملة من العوامل خارجة عن ذات الملحد أو لعوامل نفسية أو ذاتية نتيجة لحوادث وعجز ربما عن استيعاب الحكمة من أقدار الله تعالىٰ في النفس والآفاق، والحق أن اعتقاد وجود الله تعالىٰ حاجة تلح علىٰ وعينا واعتراف نابع من وجداننا، وهو شيء نعلمه من خبرتنا الذاتية حق العلم؛ ولكن ما العمل إذا كان مضمون الخبرة الذاتية بالنسبة للملحد وهْمٌ لا عِلم؟.

لقد ظن الملحد في تصوره أن الحياة إنما تُبنىٰ علىٰ العقل لا غير، وأن العقل ينطلق من أسس فكرية لا عاطفية، وهذا فهم مغلوط والتصور الصحيح أن الفطرة

(١) الإلحاد مشكلة نفسية مرجع سابق (ص٨٠).



والعاطفة واتجاهات الوجدان مضمّنة في عمل العقل وعملية اتخاذ القرار، كيف لا والإنسان كيان واحد، مرتبط ببعضه، عقلاً ووجداناً وعاطفةً، لا يمكن الفصل بينها البتة، بل إن الملحد عندما يتخذ قرار إلحاده فإنه يكون قد استجاب لتفكير يقوده مطلب عاطفي.

والغرب يقوده عقلٌ مريضٌ إلىٰ الإلحاد، وليس له صلة بالخير والهداية: وإنّ «مشكلة العقل الغربي في أصله أنه عقل أداتي نفعي مصلحي مادي، يحمل بغضاً غير مبرر للدليل النقلي الجاهز، وتراه يسلم بالخرافة - الأطباق الطائرة - لأنها من صنعته، ويتردد في المعرفة النقلية وإن كانت أكثر منطقية وضبطاً من هذيانه»(١).

***

(١) كهنة الإلحاد الجديد، د. هيثم طلعت علي سرور، تقديم: د. عبد الله بن سعيد الشهري (ص١٠).

*** المطلب الثاني: الإلحاد والاعتقاد.**

الإلحاد محاولة لبناء قاعدة شمولية تتحكم في تفكير الملحد وسلوكه، حتىٰ يبني عليها أفكاره في مختلف أنواع النشاط الإنساني، السلوكي والاجتماعي والاقتصادي، وهي محاولة ليس لها ثبات في نفس الملحد أو تأثير حقيقي، وإنما هو أمر ظاهري مزيف لا يحمل الملحد علىٰ الاقتناع الحقيقي الراسخ المنعقد عليه قلبه.

بل إنّ الملحد إنما يعصي اللهَ تعالىٰ وهو يقر بفطرته استحقاقه للعقوبة ولكنه يلجأ إلىٰ الإنكار حتىٰ يفعل ما يريد دون تأنيب ضمير، فيقنع نفسه أنه ليس هناك إله، فالشهوة وسطوتها سببٌ عظيم ومحفز قوي لهذا النكران، نكران الحق، قال ابن القيم (ت٧٥١) ﷺ: «أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلىٰ ما أصاره، والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد: وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم علىٰ أخيه. فمن وقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر. فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد»[1] وقد جاء تعريفه في حديث النبي ﷺ فقد قال: (بطر الحقِّ وغمط النَّاس)[2].

ويترتب علىٰ ذلك الخداع النفسي الصراع النفسي الحاد الذي يضاعف الخوف الفطري من عقاب الله تعالىٰ وغضبه، ويزيده، ويبتكر الإنسان حينها أو يحاول ابتكار منظومة فكرية تساند هذه الرغبة العارمة، حتىٰ يتصور أن الإلحاد نظام فكري شامل

---

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (ص١٠٥).

(٢) صحيح مسلم، رقم (٧٠٣١).



وقادر علىٰ حل كل المعضلات، ويصلح ليكون منهجاً للحياة[1].

ويبدو زيف الإلحاد وضعف تأثيره ورسوخه في النفس في المواقف التي تتجلىٰ فيها الفطرة السليمة التي تميل إلىٰ اعتقاد وجود الله تعالىٰ، عند الكوارث والمصائب والمصاعب الكثيرة التي يمر بها الملحد وتبدو فيها القدرة الإلهية والعجز البشري التام، ومرد ذلك لأن الإلحاد لا يعد جزءاً أصيلاً من منظومة الإقناع الحق، فليس له التصور الشامل للكون والحياة والإنسان ولا يملك الملحد إجابات عن كثير من الأسئلة المصيرية والفلسفية، خاصة الأسئلة التي تتعلق بالغيب، فالإلحاد لا يعتمد الغيب، ولا يعترف بإله، والحق أنه تصور غير مقنع ولا يريح النفس وليس له غاية أو مبرر لوجوده. والحق أن الكون منه المشاهد ومنه الغيب.

كما أن الإلحاد يرفض التدين وهذا من التناقضات الأساسية التي سببت للمجتمعات الإلحادية الشقاء والتعاسة، والجزع عند الابتلاء، والعجز عن جلب النفع أو دفع ضر، فهناك دائماً حدّ فاصلٌ بين ما يعتقده الملحد وبين فطرته وإنما المعتقد الحق هو الذي يتماشىٰ مع متطلبّات الفطرة ويحقق تناغما بينها وبين الجانب الاعتقاديّ للإنسان!

ورغم رفض الإلحاد للتدين فإنه في نهاية المطاف: «قضية إيمانية مجردة لا علاقة لها بالمستوىٰ الثقافي أو المستوىٰ التحصيلي أو الأفق الإدراكي المعرفي من قريب أو من بعيد، هو قضية دينية خالصة وموقف فلسفي متكامل، ورؤية شمولية

(١) انظر: خرافة الإلحاد، د. عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

- عند أصحابها - للكون والحياة»[1] ويصف الدكتور هيثم طلعت علي سرور معضلة الإلحاد مع غيره فيقول: «المعضلة الحقيقية التي نحن بصددها، وهي كون الإلحاد - عند أهله - عقيدة مكتملة المعالم، ولها كهنة ومرتزقة ومتسولون وأتباع!»[2].

انظر حتىٰ أهل الغرب يؤكدون رفضهم لأهل الإلحاد، لأنهم في أقل تقدير يجعلون للشيء قيمة، يقول جون لوك (John Locke): «لا يمكن التسامح علىٰ الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوعد والعهد والقسم، من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلىٰ الملحد. فإنكار الله حتىٰ لو كان بالفكر فقط يفك جميع الأشياء»[3].

في دراسة بعنوان النمط النفسي للملحد، والتي أجراها عالم النفس بنيامين هَلاهمي علىٰ أعضاء الاتحاد الأمريكي لتقدم الإلحاد، ظهر أن نصف من تبنوا الإلحاد قبل سن العشرين - وهم الأغلبية - فقدوا أحد والديهم قبل هذه السن، وأن عدداً منهم عانىٰ كثيراً في طفولته وصباه، واستنتج من ذلك أن أية دراسة للملحدين ينبغي أن تنطلق من دراسة ظروف النشأة والتربية[4].

شغل وجود الإلحاد في عالمنا كل الأوساط العلمية، فكان اهتمام علماء النفس:

---

(١) كهنة الإلحاد الجديد، د. هيثم طلعت علي سرور، تقديم: عبد الله بن سعود الشهري، بدون طبعة، ودار نشر (ص٨).

(٢) المرجع السابق (ص٢١).

(٣) رسالة في التسامح، جون لوك ترجمة منىٰ أبو سنه تقديم ومراجعة مراد وهبة المجلس الأعلىٰ للثقافة مصر الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧، (ص٥٧).

(٤) الإلحاد مشكلة نفسية، علم نفس الإلحاد، د. عمرو شريف، (ص١٢٤).

«حديثـًا بالأسباب النفسية والشخصية والاجتماعية وراء تبني الإلحاد، وخرجت هـذه الدراسات بقناعة علمية بأن هذه العوامل تقف في مقدمة أسباب هذه الظاهرة، ومن ثمّ فإن ما يطرحه الملاحدة كأسباب معرفية موضوعية (علمية ومنظمة) لإلحادهم ما هي (في معظم الأحيان) إلا قناع تُخفِي وراءه العوامل النفسية والشخصية»(١).

وقد لخص كتاب نفسية الإلحاد أن الإنسان تبنىٰ الإلحـاد لجملـة مـن الأسباب من بينها الأسباب النفسية، يقول: «وتفسيري النهائي للملحدين هو أنّ إلحادهم ما هو إلا نتاج وثمرة: الحقبة التاريخية، الصدمات الشخصية وما رافقها مـن فقـدان الـشعور بالأمان، الذكاء فوق المتوسط، الطموح والحقد وأحيانـًا الحسد»(٢).

«إنَّ الإلحاد جحود في حقيقته وليس جهلاً ولا شكـًا! فأدلـة وجـود الله تعـالىٰ لا تحتـاج إلىٰ بحـث أو نظر! ولكـنهم أهـل جحـود واسـتكبار لا يخفـىٰ، يـصرون علـىٰ تلبيس الحق بالباطل، وإدخال القطعيات النقلية بل والـضروريات العقليـة فيمـا يجـب إخضاعه للشك والنظر العقلي والبحث والمناظرة من أمور الظن والاحتمال»(٣).

***

(١) الإلحاد مشكلة نفسية، علم نفس الإلحاد، د. عمرو شريف، مرجع سابق (ص١٢٤).

(٢) نفسية الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٥٠).

(٣) آلة الموحـدين لكـشف خرافـات الطبيعيـين أبـو الفـداء ابـن مـسعود دار الإمـام مـسلم للطباعـة والنشر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، (ص١٧) بتصرف.



❋ المطلب الثالث: الإلحاد مصدر للاعتقاد.

يقوم الإلحاد علىٰ إنكار وجود الخالق لعدم رؤيته وإدراكه بالحواس، فما لا يدرك بالحواس لا يؤمن به الملحد، ولكن كيف إذن بالروح في أجسادنا نؤمن بوجودها ولكن لا نعرف ماهيتها؟ وأين هي؟ وهذا وجود يقيني، وهذا دليل مادي علىٰ أن الغيب موجود، بل إن الإيمان بالغيب أمر محمود في عقيدة التوحيد، لذلك فإن الإلحاد لا يصلح أن يكون مصدراً للاعتقاد، كما أنه لا يملك مرجعية، وليس له ثبات ولا معيارية.

كما أنه يعزل الإنسان من أن يصلح حياته الدنيا والآخرة ويعزله عن معرفة خالقه، وطبيعة العلاقة بينه وبين هذا الخالق، زيادة علىٰ إقصاء البعد الديني بالجملة، وإنّ الحس الديني جزء أصيل من بنية النفس الإنسانية، فلم تخل حضارة عبر الحقب التاريخية من صورة من صور التدين، الذي هو أمر فطري جبلي يحفظ إنسانية الإنسان ويلبي رغبته في التوجه إلىٰ الخالق بالعبادة، وعليه فإن الإلحاد ليس ضد اعتقاد وجود الله تعالىٰ وتوحيده أو التدين عمومـًا، بل إنه يقضي علىٰ الحياة كلها، فعندما يكون الله تعالىٰ غير موجود فستضيع الأخلاق، وستنتشر الإباحية والانتحار، فتفسد الحياة.

وليس أدل علىٰ عدم ملاءمة الإلحاد للفطرة ومنافرته لها، وأنه عصيٌّ عليها، من ردة كثير من الملحدين وعودتهم إلىٰ طريق الفطرة خاصةً بعد تبحرهم في العلوم والمعارف. فالإلحاد أمر خارج عن نطاق المألوف والعادة، بل خارج عن نطاق الجِبلة والطبيعة التي خُلق الإنسان عليها، وهي نقطة في غاية الأهمية لا بد من التأكيد والتركيز عليها للوقاية والعلاج من الإلحاد.

يتبنىٰ الإلحـاد المعاصـر جملـة مـن المفـاهيم لا ترقىٰ للقبـول الفطـري، ومجـرد تصورها يفسد الفكر السوي، وهي: «نـشأة الكـون تلقائيـًا، نتيجـة لأحـداث عـشوائية، دون الحاجة إلىٰ صانع، وأن الحياة ظهرت ذاتيـًا من المادة، عن طريق قوانين الطبيعة، وأن الفرق بـين الحيـاة والمـوت فـرق فيزيـائي بحـت، سيتوصـل إليـه العلـم يومـًا مـا، الإنسان ليس إلا جسداً مادياً يفنىٰ تمامـًا بالموت، وليس هنـاك وجـود للـروح كنفخـة إلهية، وليس هناك بعـث بعـد المـوت، ولكـل مـا سبق فلـيس هنـاك حاجـة إلىٰ القـول بوجـود إلـه»[1] إلا أن تكـون قـوانين الطبيعـة ذات صـفات إلهيـة، تـصنع كـل الحيـاة بتعقيداتها ودقتها، وهذا أمر مستحيل.

هل يؤسس الإلحاد لأي منظومة أخلاقيـة؟ يـستحيل ذلـك، فـلا يوجـد رادع ولا دافعية ولا ما يغري أو يؤنس الإنسان ليؤسس مبادئ أخلاقية ليس لها تـصور في عـالم الإلحاد وليس لها غاية، ولا مرجعيـة لتسميتها بأنها أخـلاق، لأنهـا قـرين الـدين الـذي يرفضه المجتمع الملحد، ويرىٰ أن الإنسانية في مرحلة الطفولة وهي من ابتكرت شيئـًا اسمه الأخلاق، وفي زماننا هذا هي لا شيء بل لعلها تكون ضـارة. وعليـه فـإن الإلحـاد حرر أتباعه من أعباء الأخلاق حتىٰ لا تنهار منظومة الإلحاد الشاملة – وفـق زعمهـم- للكون والحياة والإنسان.

والحق الـذي لا ريـب فيـه أن الإلحـاد أضـاع الإنـسان وأفقـده إنـسانيته، وطبيعتـه وفطرته، فلم يجعل لوجوده غاية ولا مصيراً، ولا رؤية صادقة أو صالحة للحياة، حتىٰ

(١) وهْم الإلحاد، د. عمـرو شريـف، تقـديم: أ. د. محمـد عمـار، النّاشِـر: مجلَّـة الأزهـر الـشَّريف محرم ١٤٣٥هـ، (ص٢٦).



عسر عليه أن يميز بين الخير والشر، فلم يؤسس لحياة حقيقية للإنسانية، في الحياة الدنيا، وما يستطيع أن يلبي حاجة الفطرة للخلود في الآخرة.فلا غرابة إذا كان الحال كذلك من انتشار الفساد والدمار والخراب والزلازل والبراكين والفيضانات.

* * *

*** المطلب الرابع: الإلحاد ومسألة وجود الله تعالىٰ:**

إن وجود الله تعالىٰ شيءٌ بديهي فطري؛ واضح وضوح الشمس في رابعة النهار؛ وكما أن وجود الشمس لا يحتاج إلىٰ دليل؛ وكون الواحد نصف الاثنين لا يحتاج إل تعليل؛ فكذلك وجود الله، لكن الإلحاد استبدل وجود الله تعالىٰ وسيطرته علىٰ الكون بإله جديد هو الطبيعة إمعاناً في الإضلال والتجبر والتكبر، وأنه رغم إيمانهم بما لا يُرىٰ كالروح والجاذبية الأرضية، لكنهم يصرون علىٰ رؤية الإله ليؤمنوا به، في عناد للفطرة والعقل معاً، ويعترف مصطفىٰ محمود بنداء الفطرة فيقول: «لو أني أصغيت إلىٰ صوت الفطرة وتركتُ البداهة تقودني لأعفيت نفسي من عناء الجدل ولقادتني الفطرة إلىٰ الله»(١).

وعن الإلحاد والانتحار تقول موسوعة الإعجاز في القران والسنة: في دراسة حديثة تبين أن الملحدين هم أكثر الناس يأساً وإحباطاً وتفككاً وتعاسة!!! ولذلك فقد وجدوا أن أعلىٰ نسبة للانتحار علىٰ الإطلاق كانت بين الملحدين واللادينيين، أي الذين لا ينتسبون لأي دين، بل يعيشون بلا هدف وبلا إيمان.

فقد أكدت الدراسات العلمية المتعلقة بالانتحار أن أكبر نسبة للانتحار كانت في الدول الأكثر إلحاداً وعلىٰ رأسها السويد التي حازت أعلىٰ نسبة للإلحاد. أما الدانمرك فكانت ثالث دولة في العالم من حيث نسبة الإلحاد حيث تصل نسبة الملحدين (واللادينيين) إلىٰ ٨٠ ٪، وليس غريباً أن تصدر منها الرسوم التي تستهزئ بنبي الرحمة ﷺ.

---

(١) رحلتي من الشك إلىٰ الإيمان، د. مصطفىٰ محمود، دار المعارف المصرية (ص٤).

جزء من الدراسة المتعلقة بتأثير التعاليم الدينية علىٰ الانتحار، تأملوا معي كيف أن الباحث يؤكد أن هناك اختلافاً كبيراً بين الدول الإسلامية وبين أي دولة أخرىٰ من دول العالم بشكل لافت للانتباه! هذه النتيجة تدحض إدعاء الملحدين أن الإسلام دين يأمر بالانتحار!!!

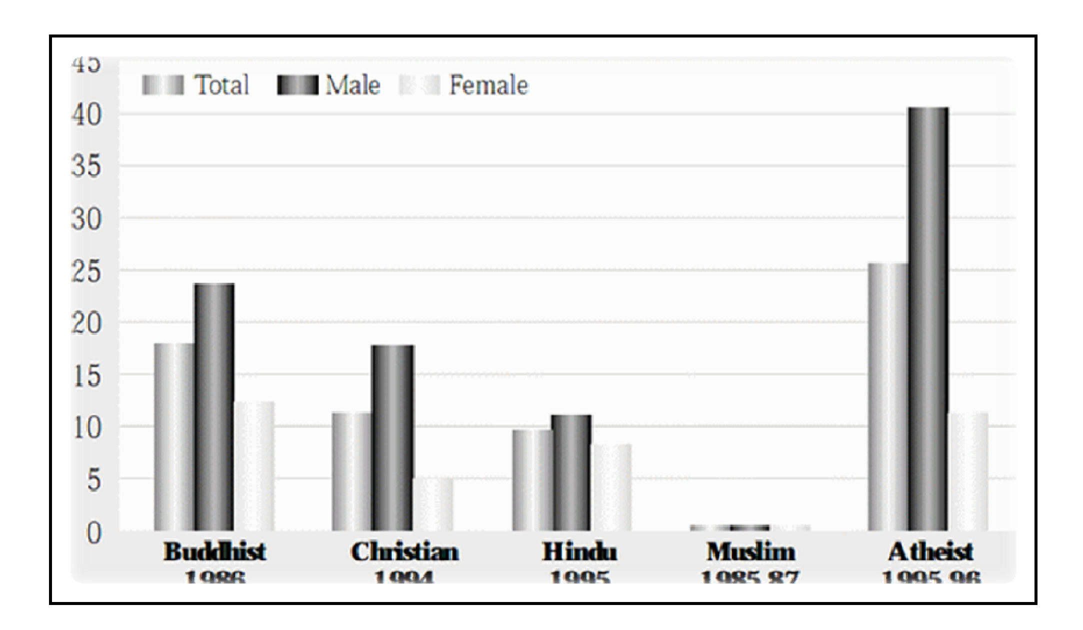
هذه الدراسة قام بها الدكتور جوس مانويل والباحثة أليساندرا فليشمان، وهي دراسة علمية شاملة استندوا فيها إلىٰ مراجع الأمم المتحدة الموثقة، والصورة هنا لزيادة التوثيق العلمي لأن الملحدين كلما جاءهم إعجاز علمي جديد قالوا بأن هذه النتائج ملفقة وغير صحيحة! ولذلك أنصح كل من في قلبه شك من هذا البحث أن يرجع إلىٰ هذه الدراسة[1].

وقد ذكرت مقالة في صحيفة نيويورك تايمز عام ٢٠١١م، أن دراسات عدة أظهرت بأن أماكن مثل الدنمارك والسويد والتي تستمر في تسجيل درجات عالية من السعادة والرضا عن الحياة، لديها أيضاً معدلات انتحار مرتفعة نسبياً. ونقلت المقالة حول السبب الكامن وراء ذلك بأنه: «يتكهن بعض العلماء الاجتماعيين بأن النزعات هذه غير مرتبطة علىٰ الأرجح، ويمكن تفسيرها بالعوامل الإقليمية كفصول الشتاء المظلمة أو الاختلافات الثقافية إزاء الانتحار»[2] والذي جعل أسعد الأماكن بها أعلىٰ معدلات الانتحار، أن هذه سعادة زائفة مادية بحتة لا تعبأ بحاجة الفطرة لربطها بخالقها والإحساس بمعيته سبحانه وعونه ورعايته.

---

(١) انظر: موقع إعجاز القران والسنة. http://www.med.uio.no/iasp/files/papers/Bertolote.pdf

(٢) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، نقلاً عن صحيف نيو يورك تايمز، بقلم تارا باركر بوب، ابريل ٢٠١١م .https://well.blogs.nytimes.com/2011/04/22/happiest-places-post-highest-suicide-rates/



تؤكد هذه الدراسة العلمية أن أعلىٰ نسبة للانتحار كانت بين الملحدين، ثم البوذيين ثم المسيحيين ثم الهندوس وأخيراً المسلمين الذين كانت نسبة الانتحار بينهم تقترب من الصفر. فبالنظر إلىٰ العمود الذي يمثل نسبة الانتحار لدىٰ الملحدين وهو أعلىٰ نسبة لديهم، وتأملوا معي العمود الذي يمثل نسبة الانتحار بين المسلمين وهو أقل نسبة علىٰ الإطلاق، هل توحي لك هذه الحقيقة العلمية بشيء!!

إن الدافع لاعتناق الإلحاد هو دافع نفسي لا صلة له بقوة الأدلة أو موضوعية المنهج، وهذا طرح لا ينبغي أن يمر دون إخضاعه للتفكير المعمق، فهناك شواهد عملية تدعمه وتؤكده، وكأن أكثر الملاحدة لديهم مشكلة شخصية مع الدين، فتتشكل مواقفهم بناء علىٰ نفور نفسي متراكم، وكراهية متنامية تحول بينهم وبين تحكيم المنهجية العلمية والمعايير الموضوعية في الأدلة بأنواعها العقلي منها، والتجريبي، والحسي (الباطني) أو ما يُسمىٰ صوت الفطرة الداخلي.



وعليه فإن أول الآثار التي تلحق الملحد هي القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي، فإن الفطرة التي في داخله تظل تبحث عن إجابات للأسئلة المحيرة، عن سر الحياة؟ والكون؟ والأقدار، والحاضر والمستقبل والغيب والشهادة والمصير؟؟؟... ومع الإلحاح المستمر لنداءات الفطرة تزداد الحيرة والاضطراب، ولا إجابات، ولا هداية إلا بالاستماع والاستجابة لحقيقة وجود الله تعالىٰ وتوحيده، تصديقاً بالغيب والقضاء والقدر، وإيماناً بكل ما أخبر به ﷻ.

وفي كتاب التصميم العظيم: «نحيا في هذا الكون الهائل الذي يُعدُّ بدوره رحيماً وقاسياً في الوقت نفسه ونُحدق فيه للأعلىٰ باتجاه السماوات الشاسعة. وعادةً ما يسأل الناس عدداً من الأسئلة مثل: كيف يمكننا فهم العالم الذي وجدنا أنفسنا فيه؟ كيف يتصرف الكون؟ ما حقيقة الواقع؟ من أين أتىٰ كل ذلك؟ هل الكون كان بحاجة لخالق؟ معظمنا يمضي وقته في قلق بشأن تلك الأسئلة، لكننا جميعاً قلقون بشأنها بعض الوقت»(1) هذا قلق طبيعي ومحمود، إلا أن النفس لا تجد طمأنينة بعيداً عن هداية الفطرة للإيمان بوجود الله وتوحيده.

فالإلحاد في الحقيقة لا يقدم إجابة مقنعة، رغم محاولته ذلك يشرح رؤية السمكة الذهبية داخل الحوض الكروي لكرة تسير حرة في خط مستقيم، تراها السمكة في مسار مُنحنٍ، إذن فإن رؤية السمكة الذهبية لهذه الكرة تختلف عن رؤيتنا نحن خارج الحوض الكروي، فقوانين السمكة العلمية تختلف عن قوانينه العلمية،

---

(1) التصميم العظيم، ستيفن هوكينج وليونارد مولودينوو، ترجمة: أيمن أحمد عياد، الطبعة الأولىٰ، ٢٠١٣م، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، (ص١٣).

وعليه ربما هي تمتلك الصورة الحقيقية وربما نحن الذين نمتلك الصورة الصحيحة، والأصل في هذا النقاش خلق الفوضىٰ الذهنية والحيرة في العقول وأنه ليس هناك ثوابت، فكلٌ يصوغ قوانينه وفق رؤيته الخاصة دون الجزم بأن قانونه هو الصواب أو قانون غيره(١).

إنما أرد بهذه الحيلة أنّ كل إنسان يرىٰ ما لا يراه الآخر، وهذا صحيح إلا أن الفطرة السليمة لا ترىٰ غير الإيمان بوجود الله تعالىٰ، في كل زمان ومكان وعند أيّ شخصٍ كان، إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وفي محاولة عناد الفطرة عند الملاحدة تقوم معارضة الدين عندهم علىٰ أسس ثلاثة: الأول: ما يعرف بقانون الطبيعة، فالكون عند الملحد إنما يتحرك بقانون ثابت (قانون الطبيعة) وكل ما في الكون يخضع لهذا القانون، فلا حاجة لإله يتحكم في كل ذلك(٢).

الثاني: القول بأن الدين نتاج اللاشعور الإنساني وليس انكشافاً لواقع خارجي، والمقصود أن فكرة الدين جاءت من مخزن الأفكار التي مرت بنا ونسيناها ولا تظهر إلا في أحوال غير عادية، فالجنة والجحيم يرجع إلىٰ صدىٰ الأماني التي تنشأ لدىٰ الإنسان إبان طفولته.فما لا يظفر به في الواقع يحلم به في المنام فيحصله حياة أخرىٰ يتيسر له فيها كل مراده. قل هاتوا برهانكم، يقول إمام النفسيين (سيغموند فرويد

(١) انظر: التصميم العظيم (ص٥١-٥٢).

(٢) انظر: الإسلام يتحدىٰ وحيد الدين خان، تعريب: د. ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة، (ص١٤).



Sigimund Freud)[1]: «إن اللاشعور قد يقبل أفكاراً في الطفولة، وتؤدي أعمالاً غير عقلية، وهذا ما يحدث بالنسبة للعقائد الدينية»[2].

فهل الطبيعة الإنسانية تنقاد بالغريزة الجنسية وحدها، وهي المسيطر والدافع لكل أعمال الإنسان؟؟ أي تفسير هذا الذي حط من قدر ابن آدم فجعله في منزلة الحيوان؟؟ أين الاعتقاد؟ أين المجتمع؟ وأين الأسرة؟ أين الغاية والهدف من الخلق والإبداع؟؟ إن هي إلا ملاحظات ومحاولات ماكرة لتخريب حياة الإنسان وفطرته السليمة.

والثالث: هو التاريخ: فإن القضايا الدينية إنما وُجدت لأسباب تاريخية، فلم يكن في استطاعة الإنسان أن يفلت من السيول والأعاصير والطوفان والزلازل والأمراض، فأوجد قوة فرضية يستغيثها لتنقذه من البلايا النازلة به، وهكذا ظهرت الحاجة إلىٰ القول بشيء يجتمع الناس حوله فاستغل اسم الإله لأن قوته تفوق قوة الإنسان والطبيعة.

والحق أن كلاً من قانون الطبيعة واللاشعور والتاريخ لا تصلح أن ترقىٰ لمستوىٰ القبول الفطري، فالطبيعة شاهدة علىٰ وجود الله تعالىٰ، في الآيات الكونية التي لا تخطئها عين، وقد شهد التاريخ الإنساني علىٰ الحاجة الفطرية الأكيدة للتدين، ومن ثم الحاجة المركوزة في النفس للإله الخالق الرازق المحي المميت الذي بيده

---

(١) هو: سيجموند فريد ١٨٥٦-١٩٣٩ طبيب أخصائي في الأمراض العقلية والعصبية نمساوي من أئمة علم النفس، يعتبر جميع الأحوال العقلية وأفعال الإنسان خاضعة للحوافز اللاشعورية الجنسية. انظر: الموسوعة الفلسفية (ص٣٠٣).

(٢) الإسلام يتحدىٰ، مرجع سابق، (ص٢٨).



كل شيء ولا يعجزه شيء سبحانه، ومهما كان اجتهاد الملحدين في خلق وابتداع المبررات والمقنعات لإقصاء الدين واعتقاد وجود الله تعالىٰ فإن الفطرة الإلهية السليمة تقف سداً منيعاً ضدهم، تأبىٰ المحو والاندثار لأنها مولودة مع الإنسان لا تنفك عنه البتة.

وأكبر شاهد علىٰ ذلك، ما كان من عودة أشهر الملحدين المعاصرين الفيلسوف البريطاني (انتوني ريتشارد فلو Antony Flew) الذي اشتهر بكتاباته في فلسفة الأديان، وقام بتأليف أكثر من (٣٠) كتاباً أغلبها في دحض فكرة التدين، حيث أعلن في عام ٢٠٠٤ وخلال مناظرة فلسفية، أعلن عن تحوله إلىٰ التوحيد وتخليه عن الإلحاد، وقام بتأليف كتاب نسخ فيه كل كتبه السابقة وهو كتاب (هناك إله There is a God) [١].

ويشهد علىٰ حاجة الفطرة للتدين وأن الملحد إنما يكابر ويعاند فطرته، التي تفتقر أشد الافتقار إلىٰ هذا الاعتقاد، ما كان من مقالة لأحد أشهر الملحدين في القرن العشرين، وهو جان بول سارتر(Jean Paul Sartre)، فقد نقل عنه أنه كان يعيد النظر في الإلحاد كثيراً في لحظات الشك، وقد صرح هذا الفيلسوف قائلاً: «لا أتحمل أن أرىٰ نفسي كومة من التراب الذي ظهر بالصدفة في الكون، إني أرىٰ نفسي محسوباً حسابه، سبق تقديره، خُلق لغاية، كائن لا يوجد إلا كخلق لإله حكيم»[٢].

لما كان الإيمان بالنسبة لنا عبارة عن حاجة أو اتجاه فإن غاية ما يفعله الملحد هو توجيه هذه الطاقة باتجاه نفسه أو تبديدها في اتجاهات أخرىٰ، فيصبح هدف الطاقة

(١) هناك إله، كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، انتوني فلو (Antony Flew)، ترجمة: د. صلاح الفضلي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، الكويت، (ص٨١).

(٢) نقلاً عن الإلحاد مشكلة نفسية (ص١٦٩).



الجديد هو المحور الذي يدور حوله إدراكنا لمعنىٰ الحياة. هذا ما يحدث بشكل خاص لضحايا الأزمات الوجودية[1]، وجودية سارتر، وكافكا، وكامو، ونيتشه، ويؤكد فولتير (Voltaire) هذه الحاجة بقوله: «لو لم يوجد الإله لكان من الضروري اختراعه»[2].

وأكبر دليل علىٰ أن هذا هو الواقع هو أن كثيراً من الملاحدة الذي ظنوا أنهم قد اتخذوا قرار إلحادهم بناءً علىٰ ما يمليه العقل الصحيح - في تصورهم - عادوا إلىٰ الإيمان بالخالق، فهل يُتصور أنهم عادوا بعد أن استأصلوا داعي الفطرة بقرار إلحادهم الأول؟ أم عادوا لأنهم رفعوا عنه حظر «التحييد» واتصلوا به من جديد؟

وأشار الدكتور عمرو شريف في كتابه «الإلحاد مشكلة نفسية» إلىٰ الأسباب

(١) تعريف الوجودية في معجم ألفاظ العقيدة (تصنيف عامر عبدالله)، عرَّف الوجودية بأنها: «مذهب فلسفي يقوم علىٰ دعوة خادعة، وهي أن يجد الإنسان نفسه، ومعنىٰ ذلك عندهم: أن يتحلل من القيم، وينطلق لتحقيق رغباته وشهواته بلا قيد، ويقولون :إن الوجود مقدَّم علىٰ الماهية، وهذا اصطلاح فلسفي معناه: أن الوجود الحقيقي هو وجود الأفراد، أما النوع فهو اسم لا وجود له في الخارج؛ فمثلًا: زيد وخالد وإبراهيم، هؤلاء موجودون حقيقيون، لا شك في وجودهم، ولكن الإنسان أو النوع الإنساني كلمة لا حقيقية لها في الخارج كما يزعمون». تصنيف: أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٩٧هـ، (ص٤٣٩)، انظر: جان بول سارتر (ص٣٤٨)، فولتير (ص٤٧١)، البير كامو (ص٥١٢)، معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط٣ تموز (يوليو) ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: (مجلة براهين) دورية فصلية تصدر عن «مركز براهين» لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي شرعي. https://www.braheen.com/mag

النفسية والشخصية والاجتماعية في حياة أشهر الملاحدة والتي وجهت أفكارهم نحو الإلحاد، فقد عاشوا حياة لا رقيب عليهم لا حلال ولا حرام ولا خير ولا شر وبالجملة ولا إله، فقط ما تمليه عليهم رغباتهم وشهواتهم، ويقول: «وقد أهتم علماء النفس حديثًا بالأسباب النفسية والشخصية والاجتماعية وراء تبني الإلحاد، وخرجت هذه الدراسات بقناعة علمية بأن هذه العوامل تقف في مقدمة أسباب هذه الظاهرة، ومن ثم فإن ما يطرحه الملاحدة كأسباب معرفية موضوعية «علمية ومنطقية» لإلحادهم ما هي – في معظم الأحيان – إلا قناع تختفي وراءه العوامل النفسية والشخصية والاجتماعية»[1].

فالإلحاد ليس منظومةً غائيةً سلوكيةً يمكن أن تحمل خيراً للبشرية. وإنما تمردٌ علىٰ الله تعالىٰ وإباحية وشذوذ وأمراض وكذب ونفاق، ويبدو ذلك جليـًا في التعارض الصارخ بين ادعاءاتهم بالعلمية والموضوعية والعقلانية وبين انحرافاتهم وسلوكهم وانحرافهم الجنسي والعقلي، والحق أنهم اتخذوا كل ذلك ستاراً لتبرير فسادهم ولإفساد الإنسانية.

لكل ذلك ولفقد الإلحاد للمرجعية الصحيحة والمحائدة، ولأن الإلحاد إنما نشأ لمبررات لم تكن علمية ولا موضوعية علىٰ الإطلاق ولكن لأسباب نفسية وفلسفية، فإنه لا يمكن للإلحاد أن يصبح مذهبًا مقنعًا للإنسانية، ولا يستطيع أن يسود ويصمد في ظل وعي به وبمآلاته، وفي ظل فطرة سليمة مدعمة بسلوك قويم ونهج رباني سديد، علىٰ الرغم من استماتة الملحدين في الدفاع والدعوة للإلحاد حتىٰ

(١) الإلحاد مشكلة نفسية، مرجع سابق (ص١٥٣).



أصبحوا في نظر الكثيرين كهنة له، وجعلت إلحادهم دينـًا لا يقبل النقاش، فعادوا للتدين عبر مدخل الإلحاد رغم رفضهم للتدين جملةً وتفصيلاً.

ولكن تبقىٰ الفطرة الألهية السليمة المعَوّل عليها، فهي نتاج لما يزرع فيها كما يقول ابن القيم ﵀: «أرض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها، فإن غرست شجرة الإيمان والتقوىٰ أورثت حلاوة الأبد، وإن غرست شجرة الجهل والهوىٰ فكل الثمر مرّ»[1].

❊ ❊ ❊

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، (ص٥٠) مرجع سابق.

الخاتمة

*** أهم النتائج:**

• الفطرة الإلهية أساس متين في الإيمان بوجود الله تعالىٰ وتوحيده، وثبات الحق في النفوس وهي وقاية من الإلحاد وعلاج لأدوائه.

• الإيمان بوجود الله تعالىٰ وتوحيده أصل لبقية الأصول العقدية، فلا يُتصور إقرار بالأُلوهية أو الربوبية والأسماء والصفات، أو الإقرار بالنبوة أو بالقران، دون الإقرار بوجود الله تعالىٰ ابتداءً.

• إمكان الفطرة السليمة أن تصبح مصدراً – غير مستقل – للاستدلال، وهي تشهد بوجود الله تعالىٰ وتطمئن إلىٰ ذلك في سلاسة وتلقائية ولهفة.

• عجز الإلحاد أن يصير اعتقاداً راسخًا في النفس لفقده للثبات والإقناع الفطري وأنه سبب للبلاء وإفساد الصلة مع الله تعالىٰ ثم إفساد للحياة بالجملة، فهو إما وهم أو فساد في الطبع أو عناد وتكبر أو ناتج حقيقي لفساد الفطرة الإلهية.

• أكدت الدراسة زيف الإلحاد وأن ما يترتب عليه من نتائج أخلاقية علىٰ الفرد والمجتمع متوقف علىٰ صلاح العقيدة وفسادها، وإنما يبدأ الاعتقاد السليم بالإقرار بوجود الله تعالىٰ والتسليم له، بخلاف تحقق الفساد عند الإنكار، فتلك قضية مصيرية عميقة.

• الإلحاد أحد أعظم معاول الهدم للمجتمعات والشعوب، ونتائجه في البلاد التي تبنته تشهد علىٰ ذلك، الفساد القيمي والأسري وبالجملة فساد الحياة كلها وغياب الغاية من خلق الإنسان، وبالتالي تعاسته وشقاؤه وطلبه للانتحار يزداد يومًا



بعد يوم.

- أهمية الفطرة السليمة في إرشاد البشرية لما فيه صلاحها، وصلاح النفوس والمجتمعات والحياة الدنيا ونيل ثواب الآخرة

- أقل مشكلات الإلحاد أنه ينزع القداسة من كل مقدس، ويقتل الضمير الإنساني بترك التأنيب بسبب إنكار وجود الخالق.

- عدم ترك أرض المعركة لهم لقلة الكتابات التي تبين دور وأهمية الفطرة السليمة في الحفاظ علىٰ عقيدة الوجود والتوحيد. وكثرة نشاط التيار الإلحادي في العالم حتىٰ ظهرت عشرات المواقع الإلكترونية علىٰ الانترنت تدعو له وتدافع عن الملحدين.

❋ أهم التوصيات:

- تفعيل دور الأسرة بنشر الوضوح في العلاقات والتقرب قدر الإمكان من النشء، والاهتمام أكثر بما يشغلهم لدفع هذه الفِتنة ولا يُتركون فريسةً لهذا التيَّار الجارف؛ فإنَّ غياب دور الأسرة سبب رئيسٌ من أسباب انتشار الإلحاد، والتنبه لما في أيديهم من أجهزة المحمول وغيره، حتىٰ لا يقوم هو بتشكيلهم فيصبح غريباً علىٰ عائلته بسبب ما يتلقاه من جرعات فكرية سامة وخطيرة.

- ويقع علىٰ عاتق الدعاة أن يغيروا من أساليب الدعوة، تماشياً مع مستجدات المشكلات؛ فطبيعة هذه المرحلة تَختلف عن غيرها؛ فالداعية الحق هو الذي يُشعر الشباب أنَّه صديقٌ له، لا سيفٌ مسلَّطٌ علىٰ رقابهم، ويزرع محبته فيهم قبل كل شيء.

- تستطيع المؤسسات الإسلاميَّة القيام بدورٍ فعَّالٍ في مواجهة الإلحاد؛ مثل إنشاء القنوات الفضائية، والمواقع الإلكترونية وخلق برامج جاذبة رياضية وثقافية



واجتماعية مبتكرة، وتشكيل هيئة عالمية تقوم بإنتاج الكتب والمطويات لمواجهة الإلحاد، مهمَّتُها الأولىٰ الرد علىٰ شبهات الملحدين، والإجابة علىٰ أسئلتهم، وأن تتكوَّن هذه الهيئة من علماء في كافَّة التخصُّصات؛ حتىٰ يخرج العمل مثمرًا، شاملًا لكافَّة نواحيه.

- دعم الفطرة السليمة بجملة من البرامج واللقاءات الإيمانية وذكر الله تعالىٰ، والحلقات الفكرية لبيان الإجابات الصحيحة عن الشبهات التي تدور في أذهان الشباب، فإن ذلك من أكبر المساعدات علىٰ تقوية الفطرة الإلهية، ومن أشد موانع انحرافها وزيغها، والحرص الشديد علىٰ ذلك،فقد كان النبي ﷺ يهتم بذلك غاية الاهتمام، فنراه يربط ابن عباس رضي الله عنه بتلك الفطرة ويدعمها، من خلال الوصية المشهورة له: «يا غلامُ! إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ، احفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ، واعلم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوكَ بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروكَ بشيءٍ، لم يضروكَ بشيءٍ إلا قد كتبه اللهُ عليكَ، جَفَّتِ الأقلامُ ورُفِعَتِ الصُّحُفُ»[1].

***

(١) سنن الترمذي، برقم (٢٥١٦) وصححه الألباني.



فهرس المصادر والمراجع

- القران الكريم
- صحيح البخاري ومسلم.
- الإسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان، تعريب دكتور ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة.
- آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، أبو الفداء ابن مسعود، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٤- ٢٠١٣م.
- الإلحاد مشكلة نفسية علم نفس الإلحاد، عمرو شريف، راجعه وقدم له دكتور. أحمد عكاشة، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة
- التصميم العظيم، ستيفن هوكينج وليونارد مولودينوو، ترجمة أيمن أحمد عياد، الطبعة الأولىٰ، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠١٣م.
- الجامع الصحيح، الترمذي، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.
- خرافة الإلحاد، عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- رحلتي من الشك إلىٰ الإيمان، مصطفىٰ محمود، دار المعارف المصرية.
- رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة منىٰ أبو سنه تقديم ومراجعة مراد وهبة، المجلس الأعلىٰ للثقافة، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧م.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.



- الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر، لابن قيم الجوزية، (ت٧٥١)، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- قطف الثمر في موافقات عمر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- كهنة الإلحاد الجديد، هيثم طلعت علي سرور، تقديم عبد الله بن سعود الشهري، بدون طبعة ودار نشر.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مجلة براهين: دورية فصلية تصدر عن «مركز براهين» لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي شرعي:

https://www.braheen.com/mag

- المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي:

https://ar.themwl.org/node/40

- مجموع الفتاوىٰ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، الجزء ١٦، الطبعة الأولىٰ، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.
- موقع إعجاز القران والسنة:

http://www.med.uio.no/iasp/files/papers/Bertolote.pdf

- نفسية الإلحاد، بول سي فيتز (Paul Vitz)، ترجمة مركز دلائل الطبعة الثانية، ٢٠١٣م الدار العربية للطباعة والنشر، الرياض.
- هناك إله، كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، انتوني فلو(Antony Flew)، ترجمة الدكتور صلاح الفضلي، الطبعة الأولىٰ، الكويت، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.
- وهْم الإلحاد، دكتور عمرو شريف، تقديم: أ. د. محمد عمار، النّاشِر: مجلّة الأزهر الشَّريف محرم ١٤٣٥هـ.
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، نقلاً عن صحيف نيو يورك تايمز:

Happiest Places Post Highest Suicide Rates". The New York Times.

❊ ❊ ❊



List of Sources and References

- Sahih Bukhari and Muslim.
- Whole Mosque, Tirmidhi, Abu Issa Mohammed bin Issa, i 2, Dar revival Arab heritage, 2004.
- Tongue of the Arabs, Ibn Manzoor, Dar Sadr - Beirut, Edition: Third - 1414
- Islamic Fiqh Academy of the Muslim World League.
- Majmoo 'al-Fataawa, Ibn Taymiyah, Shaykh al-Islam Ahmad ibn' Abd al-Halim ibn 'Abd al-Salam, vol. 16, first edition, Riyadh Press, 1381 AH.
- Healing the queer in matters of justice, destiny, wisdom and reasoning, Ibn Qayyim al-Jawziyyah: Shams al-Din Muhammad ibn Abi Bakr (deceased: 751 AH) Investigator: - Publisher: Dar al-Maarifah, Beirut, Lebanon Edition: 1398 AH / 1978 AD.
- Atheism is a psychological problem. Sharif, Amr, reviewed him and gave him a doctor. Ahmed Okasha, First Edition 1437 AH-2016 AD, New Book Publishing and Distribution, Cairo.
- There is a God, how did the most famous atheist change his mind ?, Antony Flew, translated by Dr. Salah Al-Fadhli. First edition 1436 AH - 2015 AD Kuwait.
- Proof Magazine: a quarterly journal published by the «Proof Center» to study atheism from a scientific philosophical perspective.
- Islam challenges Wahiduddin Khan, the Arabization of Dr. Zafar Islam Khan, review and investigation of Dr. Abdul Sabour Shahin, the library of the message.
- Great Design, Stephen Hawking and Leonard Molodino, Translated by Ayman Ahmed Ayad, First Edition: 2013, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Lebanon.
- Wikipedia, the free encyclopedia, citing the New York Times.
- Encyclopedia of miracles in the Koran and Sunnah.
- My journey from doubt to faith, d. Mahmoud, Mustafa Mahmoud Dar Al Maaref Egyptian.
- Illusion of God, Dr. Sharif, Amr, Al-Azhar Muharram 1435.
- Almohadin machine to detect the myths of naturalists Abu Fida Ibn Masoud Dar Imam Muslim for printing and publishing, the first edition 1434 - 2013.
- A Message in Tolerance John Locke Translated by Mona Abu Senna Presented and reviewed by Murad Wahba Supreme Council of Culture Egypt First Edition 1997
- The priests of the new atheism Dr. Sorour, Haitham Talaat Ali Sorour, the presentation of Abdullah bin Saud monthly, without edition and publishing house.
- The myth of atheism, Dr. Sherif, Amr Sherif, Al-Shorouk International Library, Cairo, first edition 1435H-2014.
- The Psychology of Atheism, Dr. Paul Vitz Translated by Daleel Center Second Edition, 2013, Dar Al-Arabiya for Printing and Publishing, Riyadh.
- Fruit picking in Omar's approvals, Suyuti: Jalal al-Din Suyuti.
- Benefits of Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Investigation of Mohammed Aziz Shams, Dar Alam Al-Fawaed for publication and distribution.

❊ ❊ ❊

